اتجاهات البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال «أبحاث الوسائط الجديدة نموذجا» قراءة نقدية في المرجعيات المنهجية والنظرية لعينة من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه بالجزائر

د. بوبكر بوعزيز [1]
أ.منال رداوي[2]

Trends of the scientific research in information and communication sciences «New Media Research as a Model», A critical reading in the methodological and theoretical references case study: master›s theses and doctoral theses in Algeria

تاريخ الاستلام: 2020/04/10 تاريخ القبول: 2020/05/18 تاريخ النشر: 2020/06/15

ملخص:

تتناول هذه الدراسة قراءة نقدية لحصيلة الأبحاث العلمية في مجال الإعلام والاتصال من زاوية المرجعيات المنهجية والنقلية التي تؤسس لهذه الأبحاث، والتي تندرج بالأساس في إطار الدراسات الكمية والكيفية، وقد تم حصر هذه الأخيرة في مجال الوسائط الجديدة باعتباره مجالا بحثيا عرف اهتماما متزايدا في الآونة الأخيرة ويطرح العديد من الإشكالات على جميع المستويات، لاسيما ماتعلق الأمر بطبيعة الدراسة كمية، كيفية»، المنهج المستخدم وكذا أدوات البحث، ومدى ملائمة كل واحدة» الخطوات المنهجية» متهم الطبيعة الدراسة، هذا من الناحية المنهجية، أما من جانب نظري فيتعلق الأمر بمدى ارتباط التراث النظري وانسجامه مع موضوع الدراسة.

وتتمثل الأبحاث العلمية محل الدراسة النقدية في عينة من رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية : أبحاث الوسائط الجديدة، الدراسات الكمية الدراسات الكيفية، رسائل الماجستير والدكتوراه، الجامعة الجزائرية.

Abstract:

This study deals with a critical reading of the outcome of the scientific researches in the field of information and communication from the methodological and transferable references perspective that establishes these researches, which fall mainly within the framework of the quantitative and qualitative studies. The latter has been limited to the field of new media as a research field that has gained an increasing interest in the recent times and poses many problems at all levels, especially what is related to the nature of the study, quantitative, qualitative. The method used as well as the research tools, and the appropriateness of each one «methodological steps», this is from a methodological perspective. Whereas, the theoretical perspective is related to the extent to which the theoretical heritage is related and consistent with the subject of the study. The scientific research under the critical study is represented in a sample of master›s and doctoral theses at the Algerian University.

Keywords: new media research, quantitative studies, qualitative studies, master›s and doctoral theses, the Algerian University

1 المؤلف المرسل: د. بوبكر بوعزيز، أستاذ محاضر جامعة محمد بوضياف – المسيلة. boubaker.bouaziz@univ-msila.dz

2 المؤلف المرسل: أ.منال رداوي، طالبة دكتوراه، جامعة الجزائر 3. manal.raddaoui@gmail.com

مقدمة:

إن التطور الذي عرفته وسائل الاتصال بفعل الابتكارات التكنولوجية في الدول المتقدمة قد رافقه اهتمام ابحثي على الصعيدين النظري والمنهجي، يأتي هذا الاهتمام من إدراك المنشغلين بهذا الحقل المعرفي بضرورة تأطير دراساتهم خلفية معرفية نظرية ومنهجية تساعده هم على صياغة المشكلات البحثية، وقد أدى هذا التوجه إلى إحداث نقلة نوعية وتراكم معرفي هائل في بحوث الإعلام والاتصال، علما أن المقاربات النظرية والمنهجية تخضع للمراجعة المستمرة وتجاوز تلك التي لا تفي بالغرض ولا تخيب عن التساؤلات المعقدة التي تفرزها ظاهرة الاتصال، إذا كان هذا حال البحث في المجتمعات المعاصرة، فأين نحن من هذا التطور؟

إن دارسة التجربة الجزائرية في مجال أبحاث الإعلام والاتصال تكشف أن الاهتمام النصب بشكل أساسي على التكوين، يمكن أن نلمس هذه العناية في فتح أقسام وكليات الإعلام والاتصال في مختلف مؤسسات التعليم العالي، ورغم التطور الكمي المسجل في عدد المتمدرسين في مختلف أطوار التكوين (التدرج وما بعد التدرج) والكم المعتبر من مذكرات الماجستير ورسائل الدكتوراه، إلى جانب ما ينشر في محلات ودوريات متخصصة، فإن هذه الجهود مجتمعة لم تفلح في وضع أسس الدراسات في مجال الإعلام والاتصال وتحقيق تراكم معرفي نوعي، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن قيمة هذا التراكم المعرفي على صعيد التسميات المقترحة والأطر المعرفية والمقاربات المنهجية المعتمدة في هذه الأبحاث.

انطلاقا من هذه الرؤية وانسجاما مع الإشكالية ومحاور الرئيسية للملتقى ارتأينا أن نقوم بدراسة نقدية مجموعة من الدراسات (رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه) التي أنجزت في بعض أقسام علوم الإعلام والاتصال في مختلف الجامعات الجزائرية. وقد تم حصر موضوع الدراسة في الأبحاث التي تناولت وسائل الاتصال الجديدة بوصفها جمالا بحثيا حيويا يشهد اهتماما متزايدا في السنوات الأخيرة. وفحص المرجعيات النظرية والمنهجية في مقاربة وسائط الاتصال الجديدة في الجزائر.

1- تطور الأبحاث في مجال الإعلام والاتصال :

مما لا يخفى على أحد أن القرن العشرين يمثل نقطة تحول كبرى في شتى مجالات الحياة بما فيها مال الإعلام والاتصال، فبعد الإذاعة، التلفزيون ظهرت شبكة الانترنيت في ثمانينيات القرن الماضي، والتي تمثل على حد تعبير عدد كبير من الباحثين قمة تلك التطورات وذروة ما توصلت إليه التكنولوجيا في هذا القرن نظرا للمزايا التي تحفلى جما والخدمات التي تقدمها في شتى المجالات كالتعليم، العمل، الصحة، الإعلام، التجارة، السياسية، وغيرها من الخصوصيات التي تميزها عن باقي وسائل الإعلام والاتصال الأخرى، هذا ما جعل الباحثين يطلقون على هذا العصر تسمية «عصر الثورة المعلوماتية» أو «عصر الكونية» تعبيرا عن قمة التطورات التكنولوجية .

وفي ظل هذه التطورات عرفت الدراسات الإعلامية خاصة منها المتعلقة بتأثير وسائل الإعلام على الجمهور هي الأخرى طفرة نوعية، فبعدما كانت الدراسات فيما مضى تركز على المرسل «the Sender» أو الوسيلة «medium» وتنظر إلى المتلقي «Receiver» على أنه سلبي يتلقي، ويتأثر بكافة المضامين الإعلامية مباشرة وبصفة مطلقة، غيرت تلك الدراسات من مسارها أو وجهتها حيث أصبحت تركز على المتلقي مباشرة وبصفة مطلقة، غيرت تلك الدراسات من مسارها أو وجهتها حيث أصبحت تركز على المتلقي والعلاقات التي ينسجها الفرد مع الوسائل الإعلامية، وأصبح ينظر إلى المتلقي إثر ذلك على أنه ايجابي، نشط وفعال في اختيار المضامين الإعلامية التي تتناسب مع حاجاته ورغباته.

وفي خضم هذه التطورات، وأمام عجز الدراسات والبحوث الإمبريقية الكمية في دراسة وتفسير السلوكيات

الاتصالية للمستخدم، وكيفية تفاعله مع الرسائل التي يتلقاها من مختلف الوسائط الجديدة، فظهر توجه جديد في دراسة سلوان الجمهور المتلقي والمستخدم، ويتمثل في المنظور أو المقترب الإثنوغرافي في دراسات الجمهور، خاصة مع الأبحاث التي أجراها «دافيا موري» في منتصف الثمانينيات حول الاستعمالات الأسرية للتلفزيون، وما طرحه من مفاهيم كسياق المشاهدة وهو السياق المنزلي، الديناميكية العائلية، التكنولوجيا المنزلية ، ولتستمر البحوث الإثنوغرافية فيما بعاد خصوصا مع رواج الانترنيت مع حماية القرن الماضي وبداية القرن الواحد والعشرين ولا مستخاداماتها الواسعة من قبل فئات المجتمع خاصية الشباب والأطفال، وظهور مفاهيم أخرى جديدة كالجمهور الاليكتروني E-audience، والجمهور القادر على التواجد في الزمان والمكان Ubiquitous audience، وغيرها من المفاهيم الجديدة المتعلقة بالجيل الاليكتروني، ومن بين تلك الدراسات الدراسة الإثنوغرافية التي قام بها ميلر و سلايتر حول استخدام الانترنت في العمل ولدى الأطفال في منطقة ترينيداد، ودراسة بيتريز حول دور منتديات الدردشة في تغيير النسيج الاجتماعي وبناء علاقات عاطفية جديدة، إضافة إلى العديد من الدراسات اللاحقة والتي أنجزت ولازلت تنجز من أجل معرفة كيفية تفاعل الأفراد مع الانترنيت والآثار التي تحد لها على سلوكياتهم واتجاهاتهم.

هذا من الناحية المنهجية، وفي ذات السياق من الناحية النظرية تم هدم وتحديد للأنساق النظرية، فظهرت مقاربات جديدة تعنى بهذه السلوكيات الناتجة عن هذه الوسائط الجديدة من أهمها نظرية التشبيك، العصبيةالافتراضية، الفعل الاجتماعي، جيل C، الاستخدام، التملك، التمثلات، رأسمال الاجتماعي، ...الخ، وما إسقاطها على الظواهر الناجمة عن تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجمال ريادة في مختلف المجتمعات، إلا أنه في الجزائر لا تزال توجد ثغرة في مجال الدراسات العلمية التي لا زالت غير قادرة على التخلي عن أنموذج التأثير، ومن خلال هذه المداخلة سنحاول تقييم مجموعة من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تناولت دراسة وسائل الاتصال الجديدة، والتي أنجزت على مستوى قسم الإعلام والاتصال من مختلف الجامعات الجزائرية، والتي هي جاد قليلة مقارنة بالدراسات المتعلقة بوسائل الإعلام التقليدية .

2- وسائط الاتصال الجديدة:

لقد تكشف استعمال مصطلح الوساطة في المجال الاتصالي الإعلامي التفسير الظاهرة الاتصالية ودور وسائط الإعلام فيها، ففي بعض الأحيان يراد بمصطلح الوساطة التدقيق في وصف العملية الاتصالية وأحيانا أخرى تعويض مفهوم الاتصال وأصبح يطرح كمفهوم العلوم الإعلام والاتصال وكادت تصبح علوم الوساطة (Cayarol, 1997)، فعلوم الإعلام والاتصال فقدت مفهومها الحقيقي واستفرغت من معناها الأصلي، لذا اقترح بعض الباحثين استبدالها بعلوم الوساطة، والتي يعرفها Alex Mucchielliأما العملية التي يتوسط فيه الوسيط طرفين في حالة تنافر أو تضاد ليحقق نتيجة معينة، فبدل أن يكون الاتصال بين طرفين فقط يتدخل العنصر الثالث الاستحالة الاتصال (Mucchielli, 1995, p 83) فمثلا في حالة تخاصم الزوجين بشعار التواصل بينهما فينا خل واحد من أهله وواحد من أهلها ليحلا النزاع وهذا ما يعرف بالوسيط، أما اليوم أصبح الوسيط بين الزوجين وسائل الاتصال الحديثة كالفايسبوك فعندما تتشاجر الزوجة مع زوجه تبعث له رسالة بالصوت والصورة والنص ممزوجة بالفكاهة فيتصالحان، ففي النهاية الوسيط هو من ينتصر، لهذا بحثت المؤسسات الإعلامية عن صيغ تفاعلية جديدة مثلا قناة France 2 وظيفة الوسيط تنشيط العلاقة بين المشاهد والصحفيين، إذ يعرف نفسه بصوت المشاهد لدى الصحفي وصوت الصحفي لدى المشاهد، وقد يتجاوز الوسيط هذا الدور ليجمع بين الصحفي والمشاهد ويدعوهم للحوار ليوحد بينهما (الحمامي، 1999، ص، ص 56، 57)، بمعنى التحول من المواثيق الأخلاقية إلى آليات المساءلة.

ويعرف الوسيط على أنه المؤسسة التي تحافظ على ديناميكية العلاقة بين طرفين : الصحفي والجمهور والتي تعكس في نفس الوقت تمثلات المرسل لوظائفه ولعلاقاته بالمتلقي، فأصبح لخطاب الجمهور مشروعية حقيقية تؤخذ بعين الاعتبار (الحمامي، 1999، ص 36).

فلا ينبغي النظر إلى الوساطة انطلاقا من مضمون ما تتداوله أو تتوسطه فقط بل بالنظر لما تقيمه من علاقات وتتيحه من معان إضافية لعملية الاتصال، فالواصلة تقوم على التكافؤ بين المتصلين والفعل الخطابي المتبادل (العياضي، 2013، ص 38).

وتعرف وسائط الاتصال الجديدة (الانترنت، المدونات الالكترونية، شبكات التواصل الاجتماعي في ميدان | الدراسات الإعلامية بالإعلام الجديد أو النيوميديا، إلا أن التسمية الأصح على الغالب هي وسائل الاتصال الجديدة كونها فضاء تواصلي بديل، ومكمل في نفس الوقت، ومواز وفريد تتشكل فيه أنماط جديدة من التفاعل والتعبير والمضامين تحولت في سياق سياسي وثقافي، فهي ليست وسائل تقوم بالنقل والتوصيل والإبلاغ والتبليغ والتأثير، فهي تؤسس لفضاء متنوع الأبعاد يحتضن أنماطا متعددة من التفاعل ما بين ذاتية وجمعية وأنماط من الكتابة الجديدة التدوين، وأنماطا من الاتصال ذات نماذج تقليدية ويشترك فيها الجميع بغض النظر عن انتماءاتهم، فوسائل الاتصال الجديدة تتكون من أجهزة وممارسات و تنظيمات اجتماعية، فهي تتضمن إمكانات وتطبيقات يفعلها المستخدم في سياقه الاجتماعي والثقافي أو يتجاهلها (الحمامي، 2011، ص20).

والتحديد الذي يأخذ الوسائط الجديدة كتقنية يستسيغها من سياقها العام، الاقتصادي والثقافي والنفسي والديني والصيرورة التاريخية، أي أنه يفرغها من مضمونها تماما، ويتعامل معها كجهاز، وهو تعريف غير دقيق لماذا ؟، لأنه إذا صح القول بأن الوسائل الجديدة هي بالمحصلة تقنية لن يصح بالتأكيد القول بأنها منظومة ثقافية، فهذه الوسائط الجديدة حاملة لمنظومة الثقافة وهي حالة اجتماعية ذهنية وثقافية وحضارية، تنقل معها أينما انتقلت ولذا أتصور أن تحديد مصطلح الميديا الجديدة أو الإعلام الجديد هو تحليل عام، في قاموس اللغة الانجليزية ولكن في النهاية مصطلح وسائل الاتصال الجديدة هو مصطلح دقيق يحددها قياسا إلى الحضارة، وهو دقيق بحكم أنه لا يفرغها من مضمونها التاريخي والتقائي والذهني والاقتصادي والأهم من ذلك مضمونها الاتصالي، وبالتالي لابد أن نسلم أنها منظومة قيم اتصالية، حملة بمجموعة من الرموز والقيم والتصورات والتمثلات التي تترجم لواقع حال دائما في زمن ما، ومكان ما، .. وعلى هذا الأساس فان وسائل الاتصال الجديدة الجديدة لا تخرج عن الاتصال لأنها حمالة مجموعة من الرموز والمعتقدات والتطورات ومستوى التمدن نجتمع ما في زمن ما.

فاليوم عندما نفتح الكومبيوتر فإننا لا ندخل في علاقة مع وسيلة باردة لنقوم بأعمال روتينية بل أصبحنا نتعامل مع وسيط حيوي ألا وهو الانترنت بمختلف تطبيقاتها، إذ أصبحت جزء من العالم الحي لأنها استبطنت داخلها أشياء من حيوية العالم، فبإمكاننا اليوم مشاهدة صورة حية وسماع أصوات مختلفة اذ تصلنا أصوات أدمية بشرية من الكومبيوتر وتتواصل معنا بالصوت والصورة والنص (Maigret, 2007, p356)، وتتفاعل معه وهذا ما يتميز الوسيط الاتصالي عن الوسيلة الإعلامية.

3- قراءة نقدية في المرجعيات النظرية والمنهجية لدراسات الوسائط الجديدة في الجزائر:

تمثل الأبحاث والدراسات في شتى المجالات والميادين المرأة العاكسة لتقدم وتطور المجتمعات خاصة تلك المنجزة على مستوى الجامعات الأكاديمية، ويزخر قسم علوم الإعلام والاتصال بكم هائل من الدراسات بداية من المرسل إلى المتلقي إلى الوسيلة والنظريات المتعلقة بهذه العناصر الإعلامية إلا أن هذا الكم رغم بلوغه 499 رسالة ماجستير، و111 دكتوراه خلال خمسين سنة منذ نشأة المدرسة الوطنية للصحافة في 1964 على مستوى التدرج، وتأسيس معهد علوم الإعلام والاتصال مطلع الثمانينيات بعاد، لا يزال يعاني نقصا نظريا ومنهجيا إذ كان

النظريات التأثير والمناهج الكمية حصة الأسد، ورغم تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة وتطور الممارسات الإعلامية والاتصالية خاصة مع ظهور وسائط الاتصال الجديدة من مواقع شبكات التواصل الاجتماعي والمدونات الالكترونية والانترنت وما تحمله من تطبيقات إلا أن اتجاه الدراسات ظل يسير بنفس الوتيرة، كما أن الأبحاث المتعلقة بهذه الوسائط جد ضئيلة مقارنة بالأبحاث في الدول المتقدمة وبعض الدول العربية كمصر ودول الخليج وللأسف الأبحاث في الجزائر في هذا المجال ترفض التقادم متحججة بصعوبات الدراسات الكيفية على المجتمع الجزائري كونه مغلق ويشكك في صحة نتائج هذه الدراسات، إلا أن الدراسات المرتبطة بمواقع شبكات التواصل الاجتماعي في المجتمعات الغربية تجاوزت الكم والتأثير، فالجمهور لم يعد مجرد سلبي، بل يمكن أن نقول بأن الجمهور مات ليولد محله المستخدم المتفاعل وليس المتأثر بالتكنولوجيا (Prouls, 2011).

كما أن كل البحوث التي تمثل عينة دراستنا تنتمي للبحوث الاستطلاعية والوصفية، ولم تحاول تجاوز الوصف وفي هذا الوضع الفيلسوف Bachelard Gaston يؤكد أن العلوم لا تحقق أهدافها التي لا تعتر عليها جاهزة، إنما ليست ما يجب وصفه، بل ما يجب بناؤه، فالأحداث والوقائع يجب ملاحظتها وبنا و ها (Bachelard, 1968).

وهذا ما جعل هذه الدراسات تشترك في نفس المنهج وهو المسح الميداني مع اختلاف في التسمية فهناك من يسميه المنهج الوصفي وهناك من يطلق عليه تسمية المسح بالعينة، باستثناء دراسة الباحث عبوب محمد الأمين الذي اعتماد إلى جانب المنهج المسحي منهج إثنوغرافيا السيبر إلا أن نتائجه كغيرها من نتائج العينة كانت كمية لاشتراكها في استخدام استمارة الاستبيان كأداة رئيسية لجمع البيانات، مما جعل نتائجها تقريبا كلها منمطة حول عادات الاستخدام والوقت الذي يقضيه المستخدم، كما أن أغلب دراسات وسائط الاتصال الجديدة اعتمدت على أنموذج التأثير خاصة نظرية الاستخدامات والاشباعات وتعاملت مع هذه الوسائط تعاملها مع وسائل الإعلام التلفزيون والإذاعة والصحافة المكتوبة) باستثناء دراسة الباحث بوخنوفة عبد الوهاب الذي اعتمد على نظرية التمثلات، وهذا لا يعني أننا نقلل من أهمية المناهج الكمية و نظريات التأثير وتتعارض معها فلكل منهج خصائصه وأهميته العلمية والأكاديمية، ولكن أثبتت الدراسات وخير دليل الدراسات التي بين أيدينا أن اعتماد هذه المناهج الدراسة الوسائط الجديدة تؤدي إلى نتائج موحدة وتبحث في العموميات والمسلمات بعيدا عن الجزئيات التي تحتاج إلى التعمق والدراسة العلمية، فالمنهج الكمي يعتبر كنوع من الأنواع التي تدقق في سطحيات الحقائق الكمية عكس المنهج الكيفي الذي يدرس الظاهرة بشكل معمق و شامل (Alvoros, 1982, p19).

وإلى جانب هذا فإن الدراسات التي بين أيدينا في دراساتها السابقة تعتمد في الغالب على الدراسات الأجنبية والعربية، دون تناول الدراسات الجزائرية، فلو أغما عادت إليها لتجاوزت التنميط، وفي حقيقة الأمر ليست هناك مقاربة منهجية ونظرية متفق عليها لدراسة وسائل الاتصال الجديدة باعتبارها في حالة ديناميكية متسارعة إلا أنه ومن خلال ما توصلنا إليه في قراءتنا للرسائل التي تمثل عينة دراستنا فنتائج هذه الدراسات كلها كمية وتبقى محدودة ولا تقدم صورة متكاملة عن الظاهرة، وهذا بسبب التقنية المستعملة في البحث (الاستبيان، الملاحظة ، الاستجوابات) فهذه التقنيات غير كافية لضبط الممارسات الناجمة عن استخدام هذه الوسائل، ومعرفة خصائص مستخدميها بصفة عامة، فهذه الظاهرة تحتاج مقترب كالمقترب الإثنوغرافي الذي يقوم على المعايشة مجتمع البحث، أي الدراسات النوعية كالمقاربة التواصلية التي اعتمدها الباحث رامي شرتم أين عالج وسائل الاتصال الجديدة بالاعتماد على مقاربة تواصلية نقدية إذ يرى أن الانترنت في جوهرها منظومة اتصالية تستطيع ولو نظريا أن تشمل كل أنواع الاتصال المتعارف عليها الإنسانية منها والآلية، وتستطيع كذلك أن تقوم بكل وظائف الاعلام الجماهيري مع بعض الإضافات النوعية (شرتم، 2001، ص، ص 12، 13)، كما أنه أطلق على وسائط الاتصال الجديدة إسم الإعلام الالكتروني والذي يرى أنه يشبه الإعلام التقليدي ولكنه يختلف عنه في اعتماده على الانترنت كوسيط يدمج بين الصوت والصورة والكلمة المكتوبة أي أنه هجين إعلامي، كما اعتمد هذه المقاربة التواصلية

أيضا الباحث الصادق الحمامي ويعرفها بأنها استنطاق لصيرورات، تشكل التملكات الاجتماعية للتقنية، وتعتمد في تحليلها على مستويات عدة اقتصادية وتقنية وثقافية، والمقاربة التواصلية تحرر الباحث من الهوس بالتقنية، وتكفل مقاربة الظاهرة بشكل جزئي وكلي في نفس الوقت، بمعنى تحليل الظاهرة المدروسة داخل المجتمع ككل، ويرى أن وسائل الاتصال الجديدة تقتضي هذه المقاربة، التي تسمح بفهمها كحقل تتفاعل فيه التقنية والتواصل عملية اجتماعية معقدة (الحمامي، 2006، ص، ص 3، 4).

يرى الباحث نصر الدين لعياشي أن دراسة وسائل الاتصال الجديدة بالاعتماد على مقاربة تواصلية توجه جديد، بالإضافة للاستخدام والتفاعلات الرمزية، فهذا الميدان يحتاج الى دراسة نوعية، فالباحثين في الدول الغربية توصلوا إلى أن النظريات السابقة عن المجتمعات المعاصرة خاطفة ومضللة، إذ لا يمكن بناء تحليل للثقافة والهوية والتكنولوجيا انطلاقا من الصراع بين الخاص والعام والفاعل والموضوع والإنسان والآلة، فلا بد من التفكير في أدوات التفكير العلمي في الاتصال في منطقتنا (لعياضي، 2013، ص51).

وتستعين المقاربة التواصلية ببراديغم النسق الذي صاغه الباحث الفرنسي إدغار موران والذي يؤكد على دراسة الظاهرة في كلياتها وعدم عزلها ويجب فهمها في شموليتها، فالظواهر لا توجد بشكل معزول لكنها تندمج في مجموعة من الظواهر التي تشكل نظاما، وبهذا يكون إنتاج المعنى معقدا بعيدا عن التبسيط، والوسائط الجديدة تعتمد على المقاربة التواصلية التي ترى أن فهم عملية الاتصال التي تجري بين العديد من الأفراد تقتضي الأخذ بعين الاعتبار السياقات والأوضاع وعملية اخراج الاتصال ورهانات كل مستخدم، فالمعنى الكامن في الاتصال لا يولد جاهزا وكاملا وموحدا بل إنه ثمرة إنتاج يشترك فيه المنتج والمتلقي، وعليه ففي تحليلنا لهذه الظاهرة الاتصالية الجديدة لابد من الإبتعاد عن المقاربات النظرية والمنهجية التي كنا نحلل بها وسائل الإعلام الكلاسيكية كونها تعتمد على المناهج الكمية وهذا غير كافي.

كما أن العينة المبحوثة اعتمدت في دراستها لوسائط الاتصال الجديدة على الحتميتين التقنية والاجتماعية، فإذا انطلقنا جدلا أن التكنولوجيا هي تقنية في الأصل أو في التمظهر، فهي في النهاية محملة بمنظومة قيم اجتماعية وثقافية وسياسية، لذلك لابد من تجاوز الحتميتين والبحث عن ما هو أهم فكلتا الحتميتين تنطلق من حقائق و تفسيرات جاهزة لا تحتاج سوى البحوث الكمية لقياس وجودها لعياضي، 2009، ص 15).

وهنا انثروبولوجيا التواصل جاد مهمة في ميدان علوم الإعلام والاتصال خاصة في ظل وسائل الاتصال الجديدة، وما تولد عنها من قبائل وهويات وفاعلين جدد، والتي أحدثت تغييرا مهما في المجتمعات ما بعد الحديثة، ومع هذا المنظور فان أفكارا جديدة ستظهر، ومشاريع جديدة ستنتشر، ويقينيات ستسقط، ولهذا السبب الأخير لا غير فإن المغامرة الفكرية الأنثروبولوجيا التواصل تستحق أن تجرب (Augé, 2001)، خاصة استخدام الإثنوغرافيا كمنهج بحثي، ورغم أنه في التسعينات من القرن الماضي كانت هذه الوسائل في مرحلة الطفولة إلا أن الباحث بيار ليفي أوصى باستخدام أنثربولوجيا السيبر رغم أن الحديث كان لا يزال مبكرا حول المساءلة النظرية والمنهجية لوسائل الاتصال الجديدة (Levy, 1997) ومن بين الدراسات الرائدة حاليا في الدول الغربية في هذا المجال والتي توصلت إلى نتائج مغايرة دراسة Daniel Miller & Don Slater بعنوان internet: an ethnographicapporoach أنجز هذه الدراسة كل من الباحثين ميلر وسلايتر وتمحورت دراستهما حول استخدام شبكة الانترنيت في «جزيرة ترينيداد»، الدراسة تعرضت إلى استعمال شبكة الانترنيت من قبل سكان تريشيا-اد، والباحثان لم يهتما بآثار هذه الوسيلة الإعلامية الجديدة على الأفراد، بل بدلا من ذلك تحاوزاه إلى السؤال عن كيفية عن ثقافة خلية إلى إيجاد مكان لا يتناسب مع خصوصياتها في محيط اتصالي يتحول باستمرار، وعن سعي هذه الثقافة في هذه الثقافة في نفس الوقت لقولبة هذا الخيط وإدماجه في خصوصياتها المحلية . (Daniel M, Don S.2000)

دراسية ل Beatriz.L.A.Milcham بعنوان «On line infidelity in internet chat room anethnographicexploration: وقد نشرت الدراسة في مجلة Computer in huanbehavior العدد 23 عام 2007، وتناولت الدراسة طبيعة التفاعلات الاجتماعية التي تتم عبر منتديات الدردشة، ودورها في تغيير النسيج الاجتماعي وفي بناء علاقات عاطفية، كما ركزت الباحثة على انعكاسات ذلك على العلاقات الزوجية، وبينت الدراسة أيضا أن هذه الاتصالات لها دور كبير في التقليل من الوفاء بين الزوجين، وبالتالي إحداث عدة مشاكل اجتماعية، ولكل ذلك انعكاساته على النسيج الاجتماعي مما يؤدي إلى إحداث فجوة وتفككك اجتماعي كبير، وهي دراسة نوعية .

توصيات:

• رغم أن المساءلة المنهجية والنظرية لوسائل الاتصال الجديدة تطرح إشكالية لدى الباحثين في مجال علوم الإعلام والاتصال في الجزائر، إلا أنه من الواضح أن المناهج الكلاسيكية تؤدي إلى نقاش عقيم، وعليه لا بد من البحث الأكاديمي حول تحليل التملكات والاستخدامات الاجتماعية لوسائل الاتصال الجديدة، وهذا من أجل تجاوز الخطاب الإيديولوجي الذي ينظر إليها خارج سياقاتها.

• ينبغي تنويع الدراسات خاصة من حيث استخدام العينات فجل الدراسات تعتمد على عينة الطلبة والشباب مهملة بذلت باقي الشرائح الاجتماعية وكأنها خارج أو غير معنية بهذه التحولات.

• لا بد من إعادة التفكير النظري في مسألة وسائل الاتصال الجديدة بداية من التسمية، وهل أن المرجعيات الكلاسيكية حقيقة صالحة لدراستها؟ فلا بد من تطوير مقاربات نظرية ومنهجية وأدوات تحليلية مبتكرة غير المنهج المسحي ونظريات الاستخدامات والاشباعات، فالعديد من الدراسات لا تنقص من وزن هذه الدراسات، ولكن تدعو إلى اعتماد مرجعيات تساعد على الغوص في الأعماق وعلى رأسها الإثنوغرافيا (Lohisse, 1998)،

فمن خلال هذه المقاربة يمكن معرفة هل أضافت هذه الوسائط وماذا أضافت إلى حياتنا اليومية متجاوزين بذالك البحث عن سلبياتها وإيجابياتها، وما يشبعه المستخدم من استخدامها، ومن بين الأنساق النظرية التي ظهرت وتعني بهذه السلوكيات الناتجة عن هذه الوسائط الجديدة من أهمها نظرية التشبيك، العصبية الافتراضية، الفعل الاجتماعي، جيل ، الاستخدام، التملك، التمثلات، الرأسمال الاجتماعي في المجتمعات الافتراضية، ...الخ، وتستحق أن تجرب.

الخاتمة:

كخلاصة لما سبق يمكن القول أن التراكم المعرفي في أبحاث الإعلام والاتصال وبالتحديد أبحاث الوسائل الجديدة لازال يفتقر إلى الأسس الصحيحة التي تسمح بدراستها بالشكل المناسب وتتماشى مع طبيعة الدراسة ، يبقى على الباحثين اتباع المنهجية السليمة وإطار نظري يتلائم وطبيعة الدراسة ويعطيها قيمة ومصداقية أكثر تجعلها في مقدمة البحوث أمام وسائط الاتصال التقليدية.

بيبليوغرافيا:

1. الحمامي، الصادق .(2006). قضيتان للطرح والحوار الإعلام الجليا، مقاربة تواصلية . (العدد 4). مجلة الإذاعات العربية.
2. الحمامى، الصادق .(1999). مفهوم الوساطة . (العدد1). الإذاعات العربية .
3. الحمامي، الصادق . الميديا الجديدة والفضاء العمومي، بين الإحياء والانبعاث: .http://sadokhammami blogspot.com/2011/11/blog-post_09.html
4. لعياضي، نصر الدين، (2013). وسائط جديدة وإشكاليات قديمة: التفكير في أدوات التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية . (العدد 22). الشارقة. مجلة الباحث الإعلامي.
5. شريم، رامى ، (2001)، الإعلام الإلكتروني العربي مقاربة نقدية . (العدد 4). الإذاعات العربية الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية (العدد 22). الشارقة. مجلة الباحث الإعلامي.
6. شريم، رامي .(2001). الإعلام الإلكتروني العربي مقاربة نقدية . (العدد 4). الإذاعات العربية .
7. لعياضي، نصر الدين. (7- 9 ابريل 2009). الرهانات الابستمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفي: نحو أفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية ، قلم في أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجاليات تكنولوجيا جديدة .. لعالم جديد، البحرين.
8. رسائل الماجستير والدكتوراه: - بوخنوفة، عبد الوهاب (2006). المدرسة، التلميذ والمعلم، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال- التمثل والاستخدامات - . أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر .
9. بودهان، يامين، (2010). الآثار النفسية والاتصالية لتعرض الشباب الجزائري لمضامين الانترنيت وأطروحة دكتوراه قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.
10. لعقاب، محمد.(2001). مجتمع الإعلام والمعلومات: دراسة استكشافية للانترناتيين الجزائريين. أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر.
11. نومار، مرتم نرتمان . (2012). استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية : دراسة | عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك في الجزائر . مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الحاج لخضر- باتنة.
12. عبوب، حماد أمرين، (2012). تاداول المعلومات داخل المجتمعات الافتراضية على شبكة الانترنت: شبكات التواصل الاجتماعي نموذجا" دراسة استكشافية وصفية تحليلية على عينة من مستخدمي الفايسبوك". مذكرة لنيل شهادة الماجستير فيعلو الإمام والاتصال، جامعة الجزائر 3.
13. -Alvoros, Pires. (1982).La méthode qualitative en Amérique duNord : un débat manqué (1918-1960)", Sociologie et Sociétés, vol. 14,no 1.
14. - Bachelard, Gaston, (1968). La Formation de l'esprit scientifique: Contribution à une psychanalyse de la connaissance objective. Paris: Vrin.

15. -Cayarol, Valery.(1997). Quelques hypotheses sur la médiation, Communication et Organisation, 11.

16. -Daniel M, Don S. (2000). TheInternet. An Ethnographic Approach Oxford-New York, Berg.

17. -Levy, Pierre (1997).l'intelligence collective pour une anthropologie du cyberspace, Ed la découverte, Paris.

18. -Lohisse Jean, (1998). Les systèmes de communication : approche socioanthropologique, Éditions Armand et colin Http://audience-stadies.over-blog.com/article-33018485.html.

19. -Maigret, Eric. (2007) Sociologie de la communication et des médias Paris, 2e édition), chapitre 16. Armand Colin.

20. -Marc, Augé (2001). Pour une anthropologie des mondes contemporains, Ed. Champs Flammarion.

21. -Mucchielli, Alex.(1995). pratique et mécanismes de la communication, in

22. introductionauxseince de l'information et communication, Ed de l'organisation, Paris.

23. -Proulx, Serge. (2011). Usages et enjeux des technologies de communication, Editions Érès, collection « Érès Poche-société ».